ميكيلانجـــلو

العبقرية الملهمة

MICHELANGELO

للدكتور أحمد موسى

خاتمـــة

أما المرحلة الثانية التي تنحصر بين سنة ١٥٠٥ ، ١٥٣٥ فهي تبدأ عندما رحل إلى روما وأقام فيها ، حيث أتم أبرز عمل في حياته ، ألا وهو تصوير السقف الكستيني بالفاتيكان على الجص (الفرسكو) ، فظل من مايو سنة ١٥٠٨ إلى خريف سنة ١٥١٢ منكباً على العمل لا يعاونه مساعد ولا ينصرف إلى غيره ؛ الأمر الذي عاد عليه بشيء من حدة الأعصاب يؤوله غير عارفيه بكراهيته للناس

وهذا السقف مقبب يتوسطه حقل يكاد يكون مسطحاً ، وجنوبه مقببة أيضاً ولكن بشكل سيمتريكي متناظر ، يتخلل هذه الجوانب نوافذ على هيئة أهلّة

ولا بد أن تؤدي بنا الرغبة في تفهم إنتاج ميكيلانجلو تفهماً صحيحاً إلى تقسيم تصويره هذا السقف إلى أربع شعب : إحداها تتناول الصورات الدينية التي صورها في وسط السقف في تسعة حقول عدا صور الجوانب التي منها أربع كبيرة والأخرى صغيرة ؛ محاطة كلها بإطارات وجامات من الشهان (البرونز) ؛ والأخرى تمثل مناظر تاريخية للعهد القديم تخلق الدنيا ، وخلق آدم وحواء ، ونوح والطوفان ، والخالق بيدي إرادته ، وتناولت غيرها خلق النور من الظلام ، وخلق الشمس والقمر والنبات ، وخلق الحيوان ، وخلق آدم . وفي هذه القطعة عبر عن نهاية النهايات أبدع تعبير يمكن أن يتصوره ويخرجه فنان ، وخلق حواء والخطيئة والطرد من الجنة ، وفي هذه أجاد في تمثيل قوة الارادة عند حواء ، والطوفان

جزء من صورة الطوفان — كابيلا سكستينا

وله صور على الجوانب المقببة لا يتسع المجال لذكرها جميعاً ، ولكني أقتصر على ذكر أهمها من الصور التاريخية ، التي من أروعها صور الأنبياء والكاهنات وهي تقع بين فتحات النوافذ ، وقد أجاد تصويرها وكلها ترمي إلى نشر رسالة الخلاص والتبشير بانتهاء الجاهلية واليهودية . وأستطيع أن أقرر أن هذه المناظر أجل وأعظم ما أبدعه فنان على مر القرون ، فهي الكعبة التي يحج إليها كل فنان حيث يقف ناظراً مستلهماً ، فيذهب به خياله إلى التسبيح بذكر العلي القدير الذي جعل من بين خلقه من استطاع الوصول بالفن إلى هذا الكمال . يقف المشاهد أمام هذا الخلق الرائع والجمال السامي والنبل العظيم كما لو كان في حلم هنيء فيشعر دون إرادة منه بعميق العبادة يحيط به ، وتقاوة القلب

وصفاء الضمير ينمر كيانه ، ويحس أنه قد تجرد من حاجات النفس المادية ، ثم لا يلبث أن يرجع ببصره مطأطىء الرأس أمام العظمة الالهية التي تمثلت خير تمثيل في إبداع العبقري الملهم

ولا بأس من أن نعرج قليلاً على ذكر بعض هذه المصورات التي أرى أن أهم ما يجب تعريفه للقارىء منها هو : صورة جرمياس وقد غطت وجهه تجاعيد الهم والتفكير والكرب ، وصورة يونس والحوت . وصورة كاهنة عجوز ساحرة

كما أن له صوراً قصد بها التحلية ولم يسمها وهي تشمل رجالاً وأطفالاً ، وقد عرت جسوم الأولين ، ويستوقف التأمل في هذه الصور جمال التفاصيل وقوة الاخراج ، والابداع في إبراز الحركات الجسمانية كاملة قوية مما يجعلها تنبض بالحياة وتتحدث عن عظمة الفن

خلق الشمس والقمر — كابيلا سكستينا

ومن هذا نرى أن السقف السكستيني هو أعظم إنتاج وصل إليه ميكيلانجلو ، ليس في هذه المرحلة الثانية فقط ؛ بل في حياته كلها ، لأنها مثلت القدرة الفائقة في الخلق الفني الأسمى والتفوق الرائع في التعبير عن المثل الأعلى ، كما تعرفنا بعينيه المحيطتين اللتين نظر بهما إلى الحياة فتغلغل إلى كنهها

وسافر بعد هذا إلى فلورنسا وهناك لا نعرف له إلا صورة واحدة أتمها « ليدا والبجعة » وهي مصورة بطريقة تمبرا Tempera (راجع المقال السابق) أتمها سنة ١٥٣٠ ، وللأسف توجد في أسوأ حال بالناشيونال جاليري بلندن

وكان أهم عمل له في المرحلة الثالثة صورته « ليوم القيامة » وهي هائلة عملها بالفرسكو على حائط الهيكل السكستيني من سنة ١٥٣٥ إلى سنة ١٥٤١ ، وتشمل السيد المسيح كقاضي العالم وإلى جواره مريم وحوله القديسون وبالقرب منه صورتان رسمت كل منهما في نصف دائرة ممثلة مجموعات من الملائكة

أما في الوسط فيوجد سبعة ملائكة رفع الأتقياء إلى النعيم وعلى اليسار الالقاء بالمغضوب عليهم في الجحيم ، وهنا نرى عبقرية ميكيلانجلو قد بدت في أقوى مظاهرها

وتحت هذه المناظر صورة أخرى تمثل البعث وغيره من المناظر الدينية ، كلها عظيمة الانشاء قوية الاخراج ، وفيها يتمثل العنف والسيطرة الكاملة على التصوير الجسماني في أروع مظاهره وأبدع حركاته ، وقد تحقق باخراجها على يد ميكيلانجلو حلم الفنانين والمثل الأعلى لمؤرخي الفن الذين يعتبرون خلقه وإبداعه أسمى مقياس يمكن الوصول إليه ؛ ولا سيما أنه قد تحرر في كثير من هذه المناظر من قيود الكنيسة وتعاليمها ، طامحاً نحو السمو والكمال الفني المنشود ، فخرج عمله شعراً منثوراً من الناحية المعنوية ، وتصويراً عظيماً من الناحية الفنية

صورة بيتا — كابيلا سكستينا

والناظر إلى هذه الصور يرى عليها شيئاً من اللون الدخاني قد غلب على كل ألوانها مرور مئات السنين وكثرة إشعال البخور داخل الكنيسة

أما آخر أعماله التصويرية فهو مجموعة المصورات المسماة « باولينا » وهي أيضاً بالفاتيكان بروما . وأهمها صورتان عظيمتان